❁ التواصل المذهبي الإسلامي بين دعوات الدين وموانع التاريخ والسياسة

أ. خالد محجوب

أستاذ مساعد - أ

كلية العلوم الإسلامية – جامعة الجزائر- 1

ملخص البحث:

دين الإسلام الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ، قام على أمرين عظيمين هما: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، وعندما فهم المسلمون من الرعيل الأول مدلول هذين الأمرين، والتزموا مقتضياهما، استحقوا النصر والتمكين، ونالوا احترام الأمم طوعا ومهابة، فعاشوا ردحا من الزمن في مركز الصدارة الحضارية بكل مضامينها، ولكن الخطأ الكبير الذي وقع فيه المسلمون بفعل الغفلة وكيد الأعداء، أهم تناسوا أو جهلوا سعة دينهم وقدرته على استيعاب اختلافاهم، فحاربوا توحيد الكلمة بحجة كلمة التوحيد، فتشتت شملهم وضعف صفهم وصاروا مضرب المثل في الغياب الحضاري والتعامل فيما بينهم بمنطق القطيعة ومحاولة الإفناء، والمقالة التي بين أيدينا تمثل جولة في الماضي، لتفسير الحاضر وفهم المستقبل بشكل أفضل في ظل سننية الاختلاف ومقاصدية الاجتماع.

Abstract

the establishment of Islam two important things: the word of monotheism, and the unification of the word "not divided among yourselves", and when understanding the Muslims of the first generation meaning these two things, deserved victory and empowerment, and won respect Nations voluntarily and solemnity, They remained so long in the forefront of cultural center with all its

implications, but big mistake when Muslims took place due to negligence and plots of the enemy, they forgot or ignorant of their religion capacity and its ability to accommodate their differences, and fought the unity of word word unification, dispersion of the respondents and the weakness described and became proverbial in the absence of civilization and dealing among themselves the logic of estrangement and try annihilation, and this research between our hands represent tour in the past, to interpret the present and future understanding in the presence of differences and the need for the meeting.

مقدمة:

لقد دعا الإسلام كافة المسلمين إلى الوحدة والتآخي فيما بينهم، فقال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران 103] كما وصى الله عز وجل هذه الأمة بما وصى به أمم الأنبياء والرسل من قبل: ﴿ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ [الشورى 13] وقد ذكر الإمام الرازي في تفسيره أن الأمر الوارد في الآية بإقامة الدين وعدم التفرق فيه مشعر بأن حصول الموافقة أمر مطلوب في الشرع والعقل، وبيان منفعته من وجوه الأول: أن للنفوس تأثيرات، وإذا تطابقت النفوس وتوافقت على دين واحد قويَ التأثير. الثاني: أنها إذا توافقت صار كل واحد منها مُعينا للآخر في ذلك المقصود ،وكثرة الأعوان توجب حصول المقصود، أما إذا تخالفت تنازعت وتجادلت فضعفت فلا يحصل المقصود. الثالث: أن حصول التنازع ضد مصلحة العالَم لأن ذلك يفضي إلى الهرج والمرج والقتل والنهب، فلهذا السبب أمر الله تعالى في هذه الآية بإقامة الدين على وجه لا يفضي إلى التفرق[1].

وإن من أسباب التمكين الذي ناله الرعيل الأول، ذلك التوافق والتلاحم والتآخي الذي كان بينهم، والآيات والأحاديث والأخبار التاريخية في وصف هذه الحقيقة كثيرة

جدا، ولولا الأسانيد وشهادة الآيات القرآنية لعددنا الكثير من صور الإتحاد والتضامن التي كانت بين المسلمين الأوائل ضربا من الخيال.

وتأسيسا على ما سبق فإنه إذا ما أردنا أن نحلل ظاهرة التمكين السياسي والانتشار الديني والتلاحم الاجتماعي لمجتمع الرعيل الأول في إطار الأسباب والأسباب المضادة، لم يكن صعبا علينا أن نرى أن أهم الأسباب في ذلك ظاهرة الالتحام الديني الذي كان بحقّ لُحمة سداة التماسك الاجتماعي والفعالية السياسية، وقد قال النبي ﷺ واصفا وآمرا: " إِنَّمَا مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالرَّجُلِ الْوَاحِدِ، إِذَا وَجِعَ مِنْهُ شَيْءٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ "[2] فقد جاء اللفظ في الحديث شاملا لعامة المسلمين، ولم يجعل الوصف والأمر منحصرا في طائفة بعينها، وعليه وفي إطار الأسباب المضادة، فقد رأى أعداء الإسلام قديما وحديثا، من الذين أغاظهم توافق المسلمين واتحادهم، أن أحسن وسيلة لضرب التماسك الاجتماعي والسياسي للمسلمين هو ضرب الأصل الذي يقوم عليه هذا البناء، وبعد أن قاموا بدراسة شرائع الإسلام، وجدوا أن ضرب ذلك التوافق والتماسك سيكون متاحا لهم في ظل سعة الإسلام وقدراته الاستيعابية الهائلة التي لا تضيق باختلافات المسلمين داخل دائرة الإسلام، ولا ترى فيها تهديدا لحقيقة الإسلام وجوهره، وهي الحقيقة التي جهلها أو غفل عنها كثير من المسلمين العلماء فضلا عن الدهماء، فاغتنم أعداء الإسلام هذا الجهل وهذه الغفلة وقاموا بالضرب على وتر المذهبية بافتعال معارك وهمية وإدخال المسلمين في متاهاتها، وبالتالي إلهاؤهم عن المقاصد الأساسية التي من أجلها كانوا مسلمين، فإذا أضفنا إلى كل هذا عامل النعرة القومية "نتانة الجاهلية" والمصالح الشخصية الضيقة والصراع على السلطة ومغانمها، فيا محنة الإسلام وياويح المسلمين وهم يفنون أنفسهم بانفسهم ويخربون بيوتهم بأيديهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا!!

في ظل التوصيف السابق وفي ظل المتغيرات التي تعيشها الأمة الإسلامية اليوم، تأتي أهمية الحديث عن صلة الرحم الإيمانية والمبادئ المشتركة بين المسلمين، رغم اختلافهم في

بعض القضايا الدينية التي ما كان ينبغي أن تأخذ حجما أكثر من حجمها، لأنه في آخر المطاف اختلاف سائغ إما أن يكون له ما يبرره من الشرع والعقل والعرف، وإما أن يكون له ما يبرره من الإعراض عنه وعدم الاشتغال به واتخاذه هدفا في الحياة، وعليه فإن من أهداف هذه الدراسة المساهمة في إعادة بعث أسباب القوة والتمكين التي حظي بها مجتمع الرعيل الأول، الذي انعكس خيره على البشرية جمعاء، وأصبحت الدولة الإسلامية في فترة من فترات التاريخ مضرب المثل في الرقي الحضاري بمضامينه السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فكان العنوان المتناغم مع هذا الهدف "التواصل المذهبي الإسلامي بين دعوات الدين وموانع التاريخ والسياسة" ولأجل تحقيق مقاصده تم التركيز على العناصر المنهجية الموضحة في الخطة الآتية:

– منهج القرآن الكريم في التأسيس لثقافة التواصل بين الناس:

تتجلى جمالية المنهج القرآني في التأسيس لثقافة التواصل بين الناس، في ذلك الأسلوب البلاغي والأخلاقي الراقي، المؤسس على قاعدة [وقولوا للناس حسنا]، حيث تجاوز هذا الأمر حصر القول الحسن مع الموالف في الدين ليشمل المخالف أيضا، وإذا ما رجعنا إلى القرآن الكريم وتدبرنا آياته الواردة في هذا الموضوع وجدنا كثيرا من القواعد والأسس التي قام عليها منهج القرآن الكريم في التـــأسيس لثقافة التواصل بين الناس، ومن بينها:

1/ الرحمة والشفقة على الخلق: بيّن الله عز وجل مبينا لنبيه ﷺ، أن أهم أسباب استيعابه للخلق واستيعاب الخلق لدعوته تلك الرحمة والشفقة التي أودعها الله عز وجل في قلب نبيه فقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران 159] وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا

وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا " [متفق عليه]، فأي رحمة وشفقة كان يحملها قلب النبي ﷺ على هؤلاء الناس الذين عادوْه وضربوه وطردوده؟ إنها الرحمة والشفقة التي أثمرت ذلك الإقبال المنقطع النظير على دين الله عز وجل لما رأوا من سماحة تعاليمه المتجلية في شخص الداعي الأول إليه محمد ﷺ.

2/ **جودة التواصل اللفظي**: حينما نرجع إلى القرآن الكريم نجد أن عبارات النداء والخطاب فيه منتقاة بعناية ودقة، ولم يكن هذا من باب الصدفة أو الارتجال، بل كان من باب الإعجاز والاختيار الواعي لهذه الألفاظ، كيف لا وهو كلام رب العالمين الذي خلق الناس ويعلم ما يصلح لهم من الكلام وما يصلحهم، فالقارئ لكتاب الله عز وجل تلفت انتباهه تلك النداءات الرحمانية المصدرة بعبارات من قبيل " يا أيها الناس" "يا أيها الإنسان" "يا أهل الكتاب" والعجيب في الأمر أن المناداة الوحيدة بصفة الكفر جاءت في موطنين فقط:

الأول: نداء مخصوص وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون 1، 2] وكان ذلك حين دعا كفارُ قريش محمدا ﷺ إلى عبادة آلهتهم مقابل الاستجابة لدعوته فكان الرد مختصا بهؤلاء النفر الذين دعوا رسول الله ﷺ إلى تبادل المعبودات، ولم يكن الخطاب عاما في كل الكفار، على ما ذكره المفسرون قال الرازي: " لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ خِطَابًا مَعَ الْكُلِّ، لِأَنَّ فِي الْكُفَّارِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا يَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ مَا أَعْبُدُ خِطَابًا مَعَ الْكُلِّ، لِأَنَّ فِي الْكُفَّارِ مَنْ آمَنَ وَصَارَ

بحَيْثُ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَإِذَنْ وَجَبَ أَنْ يقال: إن قوله: يا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ خِطَابُ مُشَافَهَةٍ مَعَ أَقْوَامٍ مَخْصُوصِينَ وَهُمُ الَّذِينَ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً وَتَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً"[3] ومن هنا يمكن القول بأن هذا الخطاب وإن كان خاصا بهذا الاعتبار إلا أنه يكون عاما في كل من قال مثل مقالة هؤلاء النفر من الكفار أو اعتقد اعتقادهم.

قال ابن جرير الطبري: " وإنما قيل ذلك كذلك، لأن الخطاب من الله كان لرسول الله ﷺ في أشخاص بأعيانهم من المشركين، قد علم أنهم لا يؤمنون أبدا، وسبق لهم ذلك في السابق من علمه، فأمر نبيه ﷺ أن يؤيسهم من الذي طمعوا فيه، وحدّثوا به أنفسهم، وأن ذلك غير كائن منه ولا منهم، في وقت من الأوقات "[4].

وقد ذكر الإمام الرازي في تفسيره ثلاثة وأربعين وجها لمعنى الخطاب في هذه السورة ب "يا أيها الكافرون" ونحن نركز على ما له علاقة بموضوع التواصل: "ومنها: أَنَّ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مِنْهُمْ، وَكَانَ فِي غَايَةِ الشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ وَالرَّأْفَةِ بِهِمْ، وَكَانُوا يَعْلَمُونَ مِنْهُ أَنَّهُ شَدِيدُ الِاحْتِرَازِ عَنِ الْكَذِبِ، وَالْأَبُ الَّذِي يَكُونُ فِي غَايَةِ الشَّفَقَةِ بِوَلَدِهِ، وَيَكُونُ فِي نِهَايَةِ الصِّدْقِ وَالْبُعْدِ عَنِ الْكَذِبِ ثُمَّ إِنَّهُ يَصِفُ وَلَدَهُ بِعَيْبٍ عَظِيمٍ فَالْوَلَدُ إِنْ كَانَ عَاقِلًا يَعْلَمُ أَنَّهُ مَا وَصَفَهُ بِذَلِكَ مَعَ غَايَةِ شَفَقَتِهِ عَلَيْهِ إِلَّا لِصِدْقِهِ فِي ذَلِكَ وَلِأَنَّهُ بَلَغَ مَبْلَغًا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِخْفَائِهِ، فَقَالَ تَعَالَى قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُمْ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لِيَعْلَمُوا أَنَّكَ لَمَّا وَصَفْتَهُمْ بِذَلِكَ مَعَ غَايَةِ شَفَقَتِكَ عَلَيْهِمْ وَغَايَةِ احْتِرَازِكَ عَنِ الْكَذِبِ فَهُمْ مَوْصُوفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ الْقَبِيحَةِ، فَرُبَّمَا يَصِيرُ ذَلِكَ دَاعِيًا لَهُمْ إِلَى الْبَرَاءَةِ مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ وَالِاحْتِرَازِ عَنْهَا. ومنها أَنَّ الْكُفَّارَ لَمَّا قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً، وَتَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً سَكَتَ مُحَمَّدٌ فَقَالَ: إِنْ شَافَهْتُهُمْ بِالرَّدِّ تَأَذَّوْا، وَحَصَلَتِ النَّفْرَةُ عَنِ الْإِسْلَامِ فِي قُلُوبِهِمْ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ لِمَ سَكَتَّ عَنِ الرَّدِّ، أَمَّا الطَّمَعُ فِيمَا يَعِدُونَكَ مِنْ قَبُولِ دِينِكَ، فَلَا حَاجَةَ بك في هذا المعنى إليهم فإنا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ وَأَمَّا الْخَوْفُ مِنْهُمْ فَقَدْ أَزَلْنَا عَنْكَ الْخَوْفَ بِقَوْلِنَا: إِنَّ شانئك هُوَ الْأَبْتَرُ فلا تلتفت إليهم، ولا تبال بكلامهم وقل يا أيها الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ.

- **الموطن الثاني: نداء بالكفر في يوم مخصوص:** "يا أيها الذين كفروا" وهذا النداء لم يأت في مقام الدعوة إلى الإيمان وإنما يكون يوم القيامة حيث لا ينفعهم الاعتذار، كما لا نفع في دعوتهم إلى الإيمان، بدليل قوله تعالى في آية أخرى: ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ ﴾ [الأنعام 158] فلا جرم خوطبوا بهذا النداء في ذلك اليوم، لأنه لا رجاء في إيمانهم، يتوسل إليه بالخطاب اللين فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [التحريم 7] وقريب من هذا حال موسى مع فرعون، ففي مقام الدعوة والبيان والإرشاد أمر الله عز وجل نبيه موسى باستعمال القول اللين والموعظة الحسنة رغم تجبر فرعون وادعائه الألوهية، قال الله عز وجل مخاطبا موسى وهارون: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه 43، 44]، وانظر إلى الخطاب كيف تبدل من اللين إلى التعنيف والتبكيت حينما تغير المقام، وصار فرعون مضطرا إلى الإقرار والإذعان بالتوحيد والإيمان بعدما أحاط به الموج وأوشك على الهلاك فخاطبه الله عز وجل على سبيل التبكيت: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [يونس 91]، والحكمة من هذا أنه لو خوطب ابتداء بالتعنيف لنفر من الداعي واتخذ ذلك حجة لعدم الإيمان واتباع الرسول، وإذا كان هذا المنهج الرباني الفريد قد وصى الله عز وجل به موسى حين أرسله إلى فرعون، فلا بد أنه منهج لا يعتريه النسخ، وأنه صالح في كل زمان ومكان بحسب المقام.

3/ **تثمين الموجود من القيم والمبادئ:** الغاية من إرسال النبي ﷺ وإنزال القرآن عليه، هو دعوة الناس إلى دين الله عن قناعة واختيار حتى تكتب لهم النجاة من عذاب الله والفوز بنعيمه المقيم، ولما كان الأمر كذلك فقد حرص القرآن في خطابه الدعوي التواصلي على مبدأ تثمين الموجود والحث على تحصيل المفقود، وهو مبدأ قرآني

عظيم، غرضه تحفيز المخاطبين وإثارة الشعور الإيجابي بصدق الداعي لديهم، وهو المبدأ الذي يتناسب مع أعظم صفة من صفات الخالق جل وعلا، وهي صفة الغنى المطلق عن الخلق حيث قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء 147] وقال رسول الله ﷺ في مقام تثمين الموجود من الفضائل والثناء عليه:" لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة" يعني في نصرة الحق والقيام به والمواساة. وهذا كنحو حلف الفضول الذي ذكره ابن إسحاق قال: اجتمعت قبائل من قريش في دار عبد الله بن جدعان لشرفه ونسبه، فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها أو غيرهم إلا قاموا معه حتى ترد عليه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، أي حلف الفضائل. والفضول هنا جمع فضل للكثرة كفلس وفلوس. روى ابن إسحاق عن ابن شهاب قال قال رسول الله ﷺ:" لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم لو أدعى به في الإسلام لأجبت"[5].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " النَّاسُ مَعَادِنُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ، إِذَا فَقِهُوا " [مسند أحمد رقم 10296] "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ " [المسند رقم8952]

– أثر الواقع الثقافي والسياسي في وجود الاختلافات العقدية بين المسلمين:

السؤال الذي يمكن أن نصدر به هذا المبحث هو: هل أثّر الواقع الديني [النص] والسياسي الذي عاشه المسلمون عبر التاريخ في إيجاد الاختلاف العقدي بين المسلمين؟ وإذا كان هذا التأثير ثابتا وموجودا فهل كان جائزا أن يُتخذ كذريعة لإيجاد التفرق والتنازع في الدين؟

أولا/ موقع النص:

المقصود بهذا العنوان أن النص العقدي قرآنا كان أو سنة، يكون واحدا في نظمه وتكون المعاني المستفادة منه متعددة بل ربما متناقضة، وذلك الاختلاف في ضبط وتحديد معاني النص ودلالاته قد يتعدد بتعدد القراء، وقد يصدر عن القارئ الواحد عندما تتغير رؤيته للنص بتغير المعطيات الذهنية والزمانية. وهذا يعني أن إشكالية الموضوع متعددة الروافد انطلاقا من مصدر الخطاب أو صاحب النص، والمتلقي أو الجهة التي تلقت الخطاب بالإضافة إلى الخطاب نفسه بما يشكله من همزة وصل بينهما، فبالنسبة إلى صاحب النص فيمكن أن يجعل من الكلام ما يكون غامضا أو محتملا للمعاني المختلفة، دون أن يوفر في الكلام من القرائن ما يدفع إلى الجزم أو الترجيح، أما بالنسبة للمتلقي فيمكن أن يتوجه في فهم الكلام عن حسن نية أو سوء نية إلى معنى مخالف لدلالة النص، أو لِما فهمه المخالف في المذهب[6]، بحيث يجد –المتلقي المخالف– لمذهبه في قواعد المعجم العربي أو نحوه أو بلاغته أو فيما يراه من مقررات العقول، أو محكّمات النصوص، ما يدعم به سلامة مذهبه وصحةَ دعواه. ومن هنا:

إن كان للنص [اللفظ] العقدي معنى فما هو نصيب اللغة في الاضطلاع به؟ وإن كان الفهم متعددا والتأويل مختلفا فما هي مسؤولية جهات الخطاب في ذلك: صاحب الخطاب والمتلقي والنص الذي بينهما؟ هذا السؤال دفع بأحد الباحثين إلى القول بأن: "القرآن وكذا الحديث، وبالأحرى لغة القرآن ولغة الحديث، سبب ثان يضاف إلى الخلافات السياسية في إيجاد التحزب في الرأي والتفرق في فهم العقيدة"[7].

سنقتصر في الإجابة على سؤال هذه المقالة، من خلال نموذج متشابه الصفات الوارد في آيات القرآن الكريم، حيث وبسبب اختلاف آراء المسلمين حول موقع النص والعقل في سلم الترتيب إزاء متشابه الصفات، وأيهما أولى بالتقديم في فهم وتقرير مسائل

العقيدة، فقد أدى هذا الاختلاف إلى بروز رأيين هامين في مسائل هذا المتشابه بوجه خاص هما التفويض والتأويل.

1: التفويض:

جرت كلمة السلف على اعتقاد المتشابه من مسائل العقيدة كما ورد في النص دون زيادة ولا نقصان فقالوا: "أمروها كما جاءت" ويقصدون بذلك أن تفسير المتشابه من الآيات هو تلاوتها[8]وقد عنون الخلف هذه العبارة بكلمة "التفويض" ولكنهم اختلفوا في مفهوم هذه الكلمة ومدلولها نظرا لاختلافهم في مدلول العبارة نفسها، فمنهم من قال أن مقصود السلف هو تفويض الكيف فقط، واستدلوا بالعبارة المشهورة للإمام مالك رحمه الله التي قال فيها عن الاستواء: " الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَالِاسْتِوَاءُ مِنْهُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ , فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ ضَالًّا , وَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ"[9]حيث استنتجوا من هذه العبارة أن الإمام مالك أثبت "معلومية المعنى اللغوي" للاستواء وهي معلومية يدركها العقل دون الكيفية التي لا قدرة له على إدراكها، وبالتالي فالذي يجب اعتقاده في الإستواء أن الله عز وجل علا وارتفع واستقر على العرش بلا كيف.

ومنهم من قال أن مقصود السلف من عبارة "أمروها كما جاءت" هو تفويض المعنى والكيف واستدلوا بنفس العبارة التي استدل بها الفريق الأول وهي عبارة مالك في الاستواء، إلا أنهم اختلفوا عنهم في توجيه هذه العبارة وبيان مدلولها حيث قالوا بأن الإمام مالك ما قصد "معلومية المعنى" وإنما قصد "معلومية الذّكر والورود"، وقالوا بأن عدم الخوض في المعنى لا يعني عدم وجود معاني لهذه الألفاظ، وإنما المقصود أن الله عز وجل عبّر عن صفة من صفاته الجليلة "بتقريب المعنى"وهو ما سموه "بالتنزلات الإلهية لعقول البشر"، نظرا لعدم قدرت هذه العقول على احتمال المعاني الحقيقية، كما لم تقدر أبصارهم على رؤية الذات الإلهية في الدنيا بخلاف الآخرة التي تعد عند الفريقين منزل تجلي الحقائق ﴿ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ق:22]

وفي هذا المعنى يقول الأستاذ بديع الزمان النورسي[10]: "المقصود الأهم من الكتاب الحكيم هو إرشاد الجمهور الذين يمثلون أكثرية الناس، لأن خواص الناس يمكنهم أن يستفيدوا من مسلك العوام، بينما العوام لا يستطيعون فهم ما يخاطب به الخواص حق الفهم، علماً أن معظم الجمهور هم عوام الناس والعوام لا يقتدرون على مشاهدة الحقائق المحضة وإدراك المجردات الصرفة متجردين عن مألوفاتهم ومتخيلاتهم. فالذي يضمن رؤيتهم ويحقق إدراكهم: إلباس المجردات واكساءها زي مألوفاتهم، تأنيساً لأذهانهم، كي يروا المجردات ويعرفوها بمشاهدتها خلف صور خيالية.

ولما كان الأمر هكذا، تلبس الحقيقة المحضة مألوفاتهم. ولكن يجب ألا يقصر النظر في الصورة ولا ينحصر فيها. وبناءً على هذا: فان ما في أساليب اللغة العربية من مراعاة الأفهام ومماشاة الأذهان، قد جرت في القرآن الحكيم المعجز البيان، والتي تعبر عنها بـ" التنزلات الإلهية إلى عقول البشر". فمثلاً:

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ (الأعراف: 7) و ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (الفتح: 10) و ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ (الفجر: 22) وأمثالها من الآيات الكريمة. كلها روافد لهذا الأسلوب.. (ذلك الكتاب لا ريب فيه)[11].

2: التأويل:

التأويل في الإصطلاح يطلق على ثلاثة معان هي: التفسير، والحقيقة التي يؤول إليها الخبر، وصرف اللفظ عن ظاهر معناه، وهذا المعنى الأخير هو المقصود في موضوعنا هذا وهو الذي جرى حوله الخلاف، حيث ذهب المتكلمون من أهل السنة كالأشاعرة والماتوردية إلى وجوب تأويل الصفات الخبرية التي وردت مضافة إلى الذات الإلهية في الكتاب والسنة، كالاستواء والنزول واليد والضحك وحجتهم في ذلك أن ظاهرها يوهم التجسيم والتشبيه بصفات المخلوقين، فكان لابد والحالة هذه من صرفها عن هذا الظاهر إلى معنى تحتمله هذه الألفاظ، فأولوا الاستواء بالاستيلاء والنزول بنزول الملك أو الأمر

واليد بالقدرة والضحك بإرادة إيصال الخير وهكذا أوّلوا كل الصفات الخبرية الأخرى وعمدتهم في ذلك قول الناظم صاحب جوهرة التوحيد: "وكل نص أوهم التشبيه فأوله ورُم التنزيه".

قال الإمام الرازي: "الظواهر المقتضية للجسمية والجهة لا تكون معارضة للأدلة القطعية العقلية التي لا تقبل التأويل وحينئذ إما أن يفوض علمها إلى الله تعالى على ما هو مذهب السلف وقول من أوجب الوقف على قوله تعالى: وما يعلم تأويله إلا الله، وإما أن يُشتغل بتأويلها على ما هو قول أكثر المتكلمين"[12].

وبالمقابل فقد رفضت طائفة أخرى من أهل السنة هذا التأويل، وعدّوه ضربا من التعطيل ورأوا أن القائلين به أشر من النصارى الذين قالوا بالتثليث وتعدد الأقانيم، حتى أن الإمام أبا بكر بن خزيمة يقول: "من لم يقر بأن الله على عرشه استوى فوق سبع سمواته بائن من خلقه فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقي على مزبلة لئلا يتأذى بريحته أهل القبلة وأهل الذمة"[13].

وهكذا نرى أن المسلمين قد اختلفوا في متشابه الصفات، على عدة مواقف وآراء تجتمع في إرادتها للتنزيه الإلهي بالإضافة إلى التمسك بالنص وعدم إهماله، والواقع أن هذه القيمة كافية في الجمع وكفتها راجحة في التوافق وعدم التنازع ولولا اللجاج وكثرة الخصومة فيها لما كنا قد سمعنا بها أصلا، ولما سرى تنازع المتقدّمين في أوصال المتأخرين، فانعكس هذا التنازع على مستوى الممارسة الاجتماعية والسياسية، تفرقا وتشرذما بل وتكثيرا لصف الأعداء على حساب صف الأخوة الإيمانية والله المستعان.

ثانيا: الواقع السياسي:

تطلعنا كتب التاريخ والفرق العقدية على بعض الوقائع التي شكل فيها التوجه السياسي محور توجيه للعقيدة، من خلال حمل الناس على مسألة عقدية معينة،بالاستناد إلى قوة السلطان وهيبته، والذي يرى بإيعاز من مذهبيته أو بطانته أن هذا الإلزام خادم لحكمه

واستقرار دولته، أو خادم لأفراد أمته بحملهم على العقيدة المنجية من عذاب الله وفق تصوره واجتهاده، أو وفق اجتهاد من أوعز إليه بذلك.

ومن الأمثلة التي يمكن سوقها كشواهد لهذا الحكم، ما حدث أيام الخليفة العباسي المأمون الذي أراد أن يحمل الناس على عقيدة القول بخلق القرآن بإيعاز من المعتزلة الذين رأوا أن هذا الإعتقاد أوفق للصواب وأدعى للتنزيه، وذلك بعد الشبهة التي أثارها النصارى حول الآية القرآنية " إنما المسيح عيسى بن مريم رسول وكلمته ألقاها إلى مريم" فقالوا بان كلمة الله قديمة وبالتالي فإن المسيح إله أو ابن الله!

ولكي يبطل المسلمون هذا القول فقد نادت المعتزلة ومن وافقهم بأن القرآن كلام الله مخلوق، وأقنعوا الخليفة العباسي المأمون بصواب رأيهم، ودعوه إلى حمل الناس على هذا المعتقد بما معه من قوة السلطان، فأجابهم لذلك وأخذ يرسل الكتب لحمل الناس على هذه العقيدة، وأمر بسجن ومعاقبة كل عالم وفقيه يخالفها، وأن لا يعين في مناصب الدولة إلا من يعتقد ويقر بخلق القرآن، فافتتن خلق كثير من العلماء والفقهاء، وكان ممن صبر من العلماء وبقي ثابتا على مذهب السلف الإمام أحمد بن حنبل، الذي تعرض للسجن والضرب بالسياط مدة أربعة عشر سنة توالى فيها على الخلافة ثلاثة خلفاء من بني العباس كلهم يريد حمل الإمام على الإقرار بهذه العقيدة لما له من وزن وقبول عند المسلمين ولكنه بقي ثابتا على عقيدته إلى أن انقشعت السحابة في عهد الواثق الذي تراجع عن هذا القول في آخر أيام حكمه.

والحقيقة التي لا غبار عليها أن أسلوب توظيف العقيدة لتحقيق المآرب السياسية كانت سمة بارزة في كثير من أطوار التاريخ الإسلامي، وهو ما حدى بأحد الباحثين إلى القول: "وثمة أسلوب آخر تذرع به المتصارعون –على السلطة السياسية– هو الدعاية الأيديولوجية التي كُرست لكسب الأعوان والأتباع والأنصار فلم يأل الفاطميون جهدا في بث الدعوة الإسماعيلية ببلاد المغرب والأندلس، ولم يتوان أمويو الأندلس في تبرير

مشروعية خلافتهم حين غلفوها بالمذهب المالكي السني نكاية في الفاطميين الإسماعيلية والأدارسة الزيدية"[14].

ويقول في موطن آخر: "وساعد على ذلك –أي تآمر قبيلة أوربة البربرية مع الأغالبة ضد الأدارسة– ما جرى في دولة الأغالب على عهد زيادة الله بن الأغلب من جعل الإعتزال المذهب الرسمي في إفريقية"[15].

وإذا ما جارينا ابن خلدون في نظريته المتعلقة بنشأة الدول لقلنا بأن الدعاية الإيديولوجية كانت الموجه الدائم للعصبية الحامية للدولة وبالتالي لهذه الإيديولوجية، وبالتالي فإن مما يمكن الخلوص إليه في هذه القضية أن للواقع السياسي دوره في توجيه الإعتقاد وصياغة الفتاوى المتعلقة بالمسائل العقدية.

ثالثا/ الرافد الثقافي:

المقصود بالرافد الثقافي في هذا العرض ما جدَّ في الساحة الإسلامية من مسائل علمية عقدية نتيجة اختلاط المسلمين بغيرهم بعد انتشار الفتوحات الإسلامية، وفي هذا المستوى يمكن التمييز بين نوعين من الروافد:

الرافد الأول: دخول أهل الديانات السماوية والوضعية في الإسلام كاليهود والنصارى والمجوس والصابئين وغيرهم من أصحاب العقائد الضالة وقد كان هؤلاء المنتمون الجدد على صنفين:

الصنف الأول: اعتنق الإسلام عن قناعة ومحبة بعدما رأى من سماحة مبادئه وسهولة تكاليفه ووضوح عقائده، وقد استطاع هؤلاء التنصل مما كانوا عليه من عقائد الشرك والضلالة، والتمسك بالمبادئ العامة والأصول الكلية للعقيدة الإسلامية الصحيحة، حيث اعتنقوا الإسلام دون استصحاب الموروثات العقدية الباطلة التي كانت في دياناتهم السابقة، وكان على رأس هؤلاء سلمان الفارسي وصهيب الرومي وغيرهم.

والصنف الآخر: أظهر الإسلام وأبطن الكفر بعدما رأى دولته تتهاوى أمام قوة الدولة الإسلامية، وديانته تتلاشى أمام انتشار ديانة الإسلام وعقيدته، والحقيقة أن دخول هذا الصنف في الإسلام إنما كان بهدف النجاة من الجزية والسيف من ناحية، ومن ناحية ثانية نشر العقائد المنحرفة والأهواء المردية بين المسلمين كلما أتيحت لهم الفرصة لذلك، بسبب ما كانوا يحملونه من حقد وضغينة على الإسلام وأهله، والمصيبة أن الكثير من هؤلاء تبوأ أعلى المناصب في الدولة الإسلامية خاصة في عهدها العباسي.

الرافد الثاني: الرافد الثقافي الثاني الذي ساهم في توجيه مناهج الاستدلال على العقيدة أو تحريفها عن مسارها الصحيح، عمليات الترجمة التي استهدف بها المسلمون كتب الفلسفة اليونانية والمنطق الأرسطي، بما احتوته هذه الكتب من قضايا تتناقض في كثير من جوانبها مع مقررات العقيدة الإسلامية.

وسنبين من خلال الفقرة الآتية كيف ساهم الرافد الثقافي بشقيه –البشري والفكري- في تحريف كثير من مسائل العقيدة الإسلامية عن مسارها الصحيح دون لجاجة أو لغط، ذلك أن خلط مسائل العقيدة بالفلسفة والمنطق من حيث التقريرُ والاستدلال أدى إلى تعكير صفو هذه العقيدة في كثير من مباحثها، فأصبحت صعبة المنال ثقيلة على الأسماع، وقد وصف صاحب كتاب إيثار الحق على الخلق هذه الظاهرة فقال: "ثم إن المتكلمين كثيرا ما يقفون المعارف الجليلة الواضحة على أدلة دقيقة خفية،فيتولد من ذلك مفاسد منها إيجاب ما لا يجب من الاستدلال وتكلفه وتكليفه المسلمين، ومنها تكفير من لا يعرف ذلك أو تأثيمه ومعاداته، ومع ذلك تحريمه يؤدي إلى حرام آخر وهو التفرق الذي نص القرآن الكريم على النهي عنه، ومنها تمكين أعداء الإسلام من التشكيك على المسلمين فيه وفي أمثاله، ومنها الإبتداع وتوسيع دائرته، وما أحسن قول أمير المؤمنين علي عليه السلام في مثل ذلك: العلم نكتة يسيرة كثرها أهل الجهل"[16].

رابعا: أثر الدوافع الإيمانية في توجيه مسالك الاعتقاد لدى المسلمين:

إذا أردنا أن نتحدث مثلا عن مسألة التكفير التي يتبادلها المسلمون فيما بينهم نجد أن من أهم دوافعها المبررات الإيمانية بوصفها الدافع المعبر عن الإنتصار للعقيدة الإسلامية وفق ما يراها المكفر –بكسر الفاء–

ولكن السؤال الذي ينبغي طرحه في هذا المستوى: هل تكفي هذه المبررات في الحكم على شخص أو جماعة بالكفر والخروج عن الدين؟

الواقع أنه قد وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كثير من النصوص التي تصف بعض الأعمال والمعاصي بالكفر، أو الحكم على أصحابها بالخلود في النار، والحقيقة أن الصحابة أنفسهم تبادلوا التهم بالنفاق وهو أشد من الكفر ولكن النبي ﷺ ما أقرهم على هذا الحكم مطلقا ولا على تبعاته من استحلال الدم وضرب الأعناق، كالذي وقع من حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه قبل فتح مكة والكتاب الذي أرسله إلى قريش يخبرهم فيه بنية النبي ﷺ في القدوم على مكة لفتحها وتحريرها من الأوثان، وقد أورد القصة البخاري في صحيحه وفيها أن عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله؛ قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنقه. فقال النبي ﷺ: ما حملك على ما صنعت؟ قال حاطب : والله ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله ﷺ، أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله ، فقال ﷺ: صدق، ولا تقولوا إلا خيراً. فقال عمر: إنه قد خان الله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنقه، فقال: أليس من أهل بدر ؟ لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة – أو: فقد غفرت لكم ، فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم » .كما منع النبي ﷺ أصحابه من قتل المنافقين في عدة مواقف أبدوا فيها عداء ظاهرا للإسلام والمسلمين وإساءة بينة لشخص النبي ﷺ، بل إن

حرص النبي ﷺ على استيعاب نفوس الخلق وقلوبهم كان أوسع من ذلك بكثير بله كان المقصد الأكبر في دعوته ويظهر ذلك جليا في موقفه من مشركي مكة يوم الفتح حين قال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء" فأين هي مناهج التكفير والتبديع والتفسيق بغير علم ولا فقه من هذا المنهج القويم؟

وقد أوردنا هذه المواقف لبيان انه لا يكفي مجرد العاطفة الإيمانية والنصوص الشرعية للحكم بالتكفير على شخص أو فئة معينة، بل ينبغي أن تكون هذه العاطفة مشفوعة بالعلم الشرعي المتضمن لشِقَّي الحكم وهما تنقيح المناط وتحقيق المناط، وهو أمر عزيز المنال نادر الوجود خاصة في عصورنا المتأخرة، وما أحسن ما قاله علي بن أبي طالب عن الخوارج الذين كفروا المسلمين واستحلوا دماءهم تحت شعار: "الحكم لله" فقال عن ذلك: "كلمة حق أريد بها باطل" وأحسن من ذلك وصف النبي ﷺ لهم في حديث علي رضي الله عنه حيث قال: "سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم...." [17].

قال ابن تيمية:"والتكفير هو من الوعيد، فإنه وإن قال القول تكذيبا لما قاله الرسول ﷺ لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة. وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطئا وكنت دائما أذكر الحديث الذي في الصحيحين في الرجل الذي قال: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في اليم فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا من العالمين، ففعلوا به ذلك فقال الله له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشيتك فغفر له.

فهذا رجل شك في قدرة الله، وفي إعادته إذا ذُري بل اعتقد أنه لا يعاد وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلا لا يعلم ذلك، وكان مؤمنا يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك. والمتأول من أهل الإجتهاد الحريص على متابعة الرسول أولى بالمغفرة من مثل هذا"[18].

إن هذا الكلام المنصف من الإمام ابن تيمية يدعم الرأي الذي يقول بأن الغلو والاعتدال في كثير من المواقف المتباينة قيمتان تتعلقان بالنص أو اللفظ الشرعي، وبهذا الوجه يمكن اعتبارهما ناتجتين من نواتج الاستدلال والتعامل مع النصوص، وهذا يعني أن الدليل الشرعي يأخذ نصيبه في صياغة هذا الوضع من حيث كونه ورد مجملا وساهم في اختلاف الفهوم المنسوبة إلى الفرق الكلامية والمثبتة من قبلها بواسطة طرقها الاستدلالية وهو ما يعبر عنه في كتب الفن بمصطلح "مناهج الإستدلال على مسائل العقيدة".

إن ما أردت الخلوص إليه من خلال ما سبق أنه لا مشاحة في الإصطلاح ولا مزايدة في الإعتدال حين يكون الإختلاف مبنيا على أسس علمية وأنه ينبغي على المتخاصمين والمختلفين في مثل هذه المسائل التي لا يسلم فيها أحدهم للآخر أن يكون المبدأ الذي يحكم علاقتهم الدينية هو الحفاظ على صلة الرحم الإيمانية، وتحكيم المبدأ القائل: "لننطلق في مسيرة التوحيد والإتحاد فيما اتفقنا عليه وليعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه".

- اختلافات المسلمين العقدية عبر التاريخ بين سننية الاختلاف ومقاصدية الاجتماع:

يهدف هذا المبحث إلى بيان الحقيقة القائلة بأن جل الاختلافات العقدية التي عرفها المسلمون في تاريخهم لا تخرج عن الإطار الذي اصطلحنا عليه بعبارة "سننية الاختلاف ومقاصدية الاجتماع" وهو ما توضحه العناصر المنهجية الآتية:

أولا: سننية الاختلاف:

المقصود بهذه العبارة أن الله عز وجل قد وضع قانونا كونيا لا يمكن لأي أمة من الأمم أن تخرج عنه وهو قانون الاختلاف بين الناس في أهم عنصر من عناصر تكوينهم وهو عنصر الملكات الفكرية والقدرات الذهنية. قال الله عز وجل في محكم التنزيل: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود 118-119] وفي الحديث الذي رواه أصحاب السنن أن النبي ﷺ قال: "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة" قيل: من هي يا رسول الله؟ قال:"ما كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي" وفي رواية: "الجماعة" وفي رواية أخرى:"السواد الأعظم"[19].

لقد دلت النصوص السابقة على حقيقة اختلاف أمة الإسلام وافتراقها، ولقد اهتم علماء الأمة بهذه النصوص وخاصة حديث الافتراق حيث استشكل عليهم من ناحيتين:

الجهة الأولى: ما فيه من الحكم على الأكثر بالهلاك والكون في النار، وذلك ينافي الأحاديث الواردة في الأمة بأنها أمة مرحومة وبأنها أكثر الأمم في الجنة وبما أن الأمة المقصودة في الحديث ليست أمة الدعوة قطعا وأن المقصود بذلك أمة الإجابة التي شهدت لله بالوحدانية وللنبي بالرسالة فإن الإجابة عن الإشكال السابق يمكن أن تكون بعدة اعتبارات.

1/ أنه يجوز أن هذه الفرق المحكوم عليها بالهلاك قليلة العدد، لا يكون مجموعها أكثر من الفرقة الناجية فلا يتم أكثر الهلاك، وبالتالي فليس ذكر العدد في الحديث لبيان كثرة الهالكين وإنما هو لبيان اتساع طرق الضلال وشعبها ووحدة طريق الحق ويشهد لذلك قوله تعالى: "ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله".

2/ أن الحكم على تلك الفرق بالهلاك والكون في النار حكم عليها باعتبار ظاهر أعمالها وتفريطها، ولا ينافي ذلك كونها مرحومة باعتبار آخر من رحمة الله لها وشفاعة نبيها وشفاعة صالحيها لطالحيها والفرقة الناجية وإن كانت مفتقرة لرحمة الله لكنها باعتبار ظاهر أعمالها يحكم لها بالنجاة.

3/ أن ذلك الحكم مشروط بعدم عقابها في الدنيا وقد دل على عقابها في الدنيا حديث: "أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة إنما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا" فيكون حديث الافتراق مقيدا بهذا الحديث في قوله: "كلها هالكة" ما لم تعاقب في الدنيا لكنها تعاقب في الدنيا فليست بهالكة.

4/ أن الإشكال في حديث الافتراق إنما نشأ من جعل القضية الحاكمة به وبالهلاك دائمة وهذا يعني أن الإفتراق في الأمة وهلاك من يهلك منها دائم مستمر من زمن تكلمه ص إلى قيام الساعة وبذلك تتحقق أكثرية الهالكين وأقلية الناجين فيتم الإشكال، والحق أن القضية حينية يعني أن ثبوت الإفتراق للأمة والهلاك لمن يهلك ثابت في حين من الأحيان وزمن من الأزمان لأنه ص عبر عن هذا التفرق بصيغة المستقبل ولا يبعد أن يكون هذا الحين هو آخر الزمان الذي وردت أحاديث أخر بفساده وفشو الباطل فيه وخفاء الحق وأن القابض فيه على دينه كالقابض على جمر وأنه الزمان الذي يصبح فيه الرجل مؤمنا ويمسي كافرا وأنه زمان غربة الدين[20].

- الجهة الثانية من الإشكال في تعيين الفرقة الناجية:

وهذه الناحية من الإشكال هي التي لا زالت الأمة إلى اليوم تتنازع فيها ورغم أن النبي ﷺ قال في وصفها: "ما أنا عليه اليوم وأصحابي" إلا أن الناظر في كتب الفرق يجد أن كل فرقة ادعت لنفسها مصطلح "أهل السنة والجماعة" وحكمت على من خالفها بالابتداع أو التكفير، وبغض النظر عن الفرق التي ظهر شططها، أو اندثرت مع الزمن، أو اندمجت في غيرها، فإن ما يهمنا اليوم في هذه المداخلة فرقتين جرت ولازالت تجري بينهما

مساجلات وانتقادات ومناظرات في مسائل عقدية مختلفة، وهاتين الفرقتين الحنابلة والأشاعرة حيث تدعي كل منهما الأحقية في الزعامة السنية، وهو صراع قديم ظهرت تداعياته اليوم في صورة الإتهامات والردود والردود المضادة، حتى إن ابن تيمية رحمه الله يقول: "لا شك أن الناس يتنازعون يقول هذا أنا حنبلي ويقول هذا أنا أشعري ويجري بينهم تفرق وفتن واختلاف على أمور لا يعرفون حقيقتها"[21] وهذا الموقف المتباين داخل مدرسة أهل السنة يجعلنا نطرح سؤالا يبدو ملحا وجديرا بالإهتمام وهو: ما السبيل للخروج من هذا المأزق؟ والجواب عليه يكون من خلال المبحث الآتي.

ثانيا: مقاصدية الاجتماع:

إن اجتماع كلمة المسلمين وتوحد صفوفهم مقصد شرعي، تضافرت وتواترت النصوص الداعية إليه، حيث قال الله عز وجل: "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا" وقد بين هذه النعمة في آية أخرى وأنها دين الإسلام وشريعته الخالدة الشاملة لحياة الناس في كل جوانبها فقال: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا" وقال ﷺ: "لا تباغضوا ولا تحاسدوا وولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث"[22].

يقول الأستاذ بديع الزمان النورسي: "فلئن كان هناك إلى هذا القدر من الروابط التي تستدعي الوحدة والتوحيد والوفاق والاتفاق والمحبة والأخوة، ولها من القوة المعنوية ما يربط أجزاء الكون الهائلة، فما اظلم من يعرض عنها جميعاً ويفضل عليها أسبابا واهية أوهن من بيت العنكبوت، تلك التي تولد الشقاق والنفاق والحقد والعداء. فيوغر صدره عداءً وغلاً حقيقياً مع أخيه المؤمن! أليس هذا إهانة بتلك الروابط التي توحد؟ واستخفافاً بتلك الأسباب التي توجب المحبة؟ واعتسافاً لتلك العلاقات التي تفرض الأخوة؟ فأن لم يكن قلبك ميتاً ولم تنطفئ بعد جذوة عقلك فستدرك هذا جيداً[23].

فأين هذا البعد التربوي من تلك الجهود المضنية التي يبذلها كثير من العلماء والدعاة الذين انبروا لتأسيس العقيدة والدفاع عنها بإثارة الشبهات وإحياء النعرات والخوض في المتشابهات خوضا يزيدها إبهاما وبعدا عن المقاصد التي وضعت لها. يقول عبد العظيم الزرقاني: "لقد أسرف بعض الناس في هذا العصر فخاضوا في متشابه الصفات بغير حق وأتوا في حديثهم عنها وتعليقهم عليها بما لم يأذن به الله ولهم فيها كلمات غامضة تحتمل التشبيه والتنزيه وتحتمل الكفر والإيمان حتى باتت هذه الكلمات نفسها من المتشابهات ومن المؤسف أنهم يواجهون العامة وأشباههم بهذا، ومن المحزن أنهم ينسبون ما يقولون إلى سلفنا الصالح ويخيلون إلى الناس أنهم سلفيون..." (24).

– الاختلاف العقدي بين مسوغات الإزالة ومبررات البقاء:

لا يمكن أن تُجعل الاختلافات الواقعة حول مسائل العقيدة في سلة واحدة، والدليل على ذلك أن كثيرا من الفرق التي ظهرت في الإسلام اندثرت وماتت أفكارها ولم يعد لها وجود بين المسلمين اليوم، بسبب تطرف أفكارها وقيامها على الهوى والاستبداد بالرأي في مقابل النص، ولذلك فإن المقصود بالاختلاف العقدي في هذا الموضوع، هو ذلك الاختلاف الذي ولّده الاجتهاد البشري حول النص المنزل وفق الآليات الموسومة بمنهج الاستدلال على العقيدة، وهو منهج رغم تعدده إلا أنه يرمي في أصوله الكلية إلى إثبات العقيدة الإسلامية والحجاج عنها بالطريقة التي يراها أصحاب كل منهج ومذهب. يقول ابن تيمية رحمه الله: "والذي نختاره أن لا نكفر أحدا من أهل القبلة. والدليل عليه أن نقول: المسائل التي اختلف أهل القبلة فيها، مثل أن الله تعالى هل هو عالم بالعلم أو بالذات؟ وأنه تعالى هل هو موجد لأفعال العباد أم لا؟ وأنه هل هو متحيز وهل هو في مكان وجهة؟ وهل هو مرئي أو لا؟ لا يخلو/ إما أن تتوقف صحة الدين على معرفة الحق فيها أو لا تتوقف؟ والأول باطل، إذ لو كانت معرفة هذه الأصول من الدين لكان الواجب على النبي ص أن يطالبهم بهذه المسائل، ويبحث عن كيفية اعتقادهم فيها، فلما لم

يطالبهم بهذه المسائل، بل ما جرى حديث في هذه المسائل في زمانه عليه السلام، ولا في زمان الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، علمنا أنه لا تتوقف صحة الإسلام على معرفة هذه الأصول. وإن كان كذلك لم يكن الخطأ في هذه المسائل قادحا في حقيقة الإسلام، وذلك يقتضي الإمتناع من تكفير أهل القبلة"[25].

أولا: مسوغات الإزالة:

يرى أصحاب هذا الرأي أن الاختلاف في الدين مرفوض مهما كانت مبرراته ومجالاته، ولم يفرقوا في هذا الرفض بين الأصول والفروع، ولا بين الاختلافات المبنية على الاجتهاد والاختلافات المبنية على الهوى والاستبداد بالرأي وتحقيق المآرب السياسية، وقد استندوا في رأيهم إلى مجموعة من المسوغات منها:

1/ قوله عز وجل: "أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه" وقد غاب عنهم أن الآية نهت عن التفرق ولم تنه عن الاختلاف إذ لا مانع من الاختلاف مع الائتلاف ولهذا يقول القرضاوي: "...فالمهم أن نفقه كيف نختلف، ولا يمنعنا اختلافنا أن نأتلف، أو كيف تختلف آراؤنا ولا تختلف قلوبنا؟"[26].

2/ أن الصحابة والسلف لم يختلفوا في فهم مسائل العقيدة، والحق أن الصحابة لم يختلفوا في تحقيق مقاصد العقيدة في حياتهم بحيث عملوا على تمثل العقيدة في حياتهم بتخلية القلوب عما سوى الله لله وخشية الرب بالغيب والنهل من معاني صفات الله عز وجل وأسمائه الحسنى، فكان انعكاسها تحقيقا ويقينا في القلوب، وتزكية في الأخلاق والأعمال، ومثالية في العلاقات الاجتماعية، فلا جرم أن أثروا في غيرهم من الناس بالحال قبل المقال، فكانت النتيجة أن أقبل الناس على هذا الدين بتلقائية منقطعة النظير، لما رأوا من حسن اجتماع الداعين إليه، أما مسألة الاتفاق في فهم ما يمكن الاختلاف في فهمه، فلم تكن لديهم بالأهمية التي يصورها البعض ولذلك كان شعارهم في النصوص المتشابهة "أمروها كما جاءت" بل إن كتب الحديث نقلت لنا حادثة وقع فيها التنازع حول مفهوم القدر

الإلهي، الذي تنازع حوله بعض الصحابة وكانت النتيجة غضبا من النبي ﷺ بسبب خوضهم في هذه المسألة، ودعوة لهم إلى التركيز على العمل وهو ما يسمى بالبعد المقاصدي للعقيدة حيث قال عمرو بن شعيب رضي الله عنه خرج النبي ﷺ على أصحابه وهم يتمارون في القدر ، هذا يترع آية ، وهذا يترع آية فغضب حتى كأنما فقىء في وجهه حب الرمان من الغضب . وقال : (بهذا أمرتم، أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟!، انظروا إلى ما أمرتكم به فاتبعوه ، وما نهيتم عنه فاجتنبوه) [27]، وفي رواية: "ما أمرتكم به فاعملوا"

يقول يوسف القرضاوي: "وإذا كان الاختلاف ضرورة ورحمة وتوسعة، فإن محاولة رفعه ومحوه ليست في صالح الأمة من ناحية، لأنها تحرمه من ثراء التنوع، ومن نعمة الاختيار، وليست ممكنة من ناحية أخرى، لأنها منافية لسنة الله تعالى في اختلاف خلقه...وقد رأينا بالتجربة أن محاولة رفع الخلاف –التي يحاولها أصحاب مدرسة الرأي الواحد تزيد الخلاف ولا تنقصه، كما وجدنا الذين يعملون على محو المذاهب لم يزيدوا على أن كانوا هم مذهبا خامسا، أو مذهبا تاسعا"[28].

ثانيا: مبررات البقاء:

يوحي العنوان في المبحث السابق "مسوغات الإزالة" بوجود ضمير غائب يمثل القوة المادية أو المعنوية التي يمكن أن تعمل على إزالة الاختلاف العقدي بغض النظر عن النتائج التي يمكن أن تحصل من خلال هذا العمل، وأما في هذا المبحث فقد جاء العنوان "مبررات البقاء" منسوبا إلى الاختلاف نفسه، وكأنه يقول: إن لي قوة ذاتية مستمدة من السنن الدينية والكونية تجعلني دائم الوجود والتجدد رغم مسوغات الإزالة التي تعتبر في كثير من جوانبها كمن يحرث على صفحة الماء، وقد صدق الله حيث قال: "قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا" يقول الدكتور يوسف القرضاوي: " أما اعتقاد أن الاختلاف ضرورة، فهو أمر مهم، ليقبله المسلم على أنه واقع لا محالة، ولا يحاول رفع

الخلاف أو يضيق به وإلا ما جعله الله ضرورة في حياة الناس...أن الاختلاف في الفروع[29] ضرورة دينية، وضرورة لغوية، وضرورة بشرية، وضرورة كونية.

أما إنه ضرورة دينية فلأن الله تعالى أنزل كتابه منه آيات محكمات –قاطعات الدلالة– هن أم الكتاب، وأخر متشابهات محتملات الدلالة، وبعبارة أخرى: جعل نصوص الدين منها ما هو قطعي في ثبوته أوفي دلالته، أو فيهما معا، ومنها ما هو ظني في ثبوته أو في دلالته أو فيهما معا، وفي الظني تختلف الأفهام والاجتهادات لا محالة.

وأما أنه ضرورة لغوية، فلأن الدين قائم على نصوص لغوية، واللغة فيها الحقيقة والمجاز والصريح والكناية والمجمل والمفصل والظاهر والمؤول والخاص والعام والمطلق والمقيد، وهذه كلها مجالات متسعة لاختلاف العقول والآراء كما هو مشاهد في علم الأصول وعلم الفقه، وعلم التفسير للقرآن وشروح الحديث.

وأما أنها ضرورة بشرية، فلأن البشر منهم من يميل إلى التشديد ومنهم من يميل إلى التيسير، ومنهم من يجنح في فهمه على الظواهر ومنهم من يميل إلى المقاصد، كما رأينا في قضية صلاة العصر في بني قريضة ومنهم من يفتح عليه في الاستنباط ومنهم من لا يوفق إلى ذلك.

وأما أنها ضرورة كونية فلأن الكون كله قائم على ظاهرة –التنوع– او ما يسميه القرآن–اختلاف الألوان–ويراد بها: اختلاف الأنواع والأصناف. والإنسان جزء من الكون، فلا بد أن يخضع لسننه العامة"[30].

يدفع الاعتقاد بعالمية الإسلام المسلمين إلى تجاوز كل ما من شأنه أن يعرقل مسيرة هذه الفكرة من أسباب الفرقة والخلاف، وفي هذا المقام تتجلى نظرية الأستاذ علي شريعتي[31] في مجال توحيد الصفوف والانطلاق في عالمية أممية جديدة تقودها رسالة الإسلام ، وأهم ما يميز هذه النظرية أنها ليست متطرفة في الاستنارة حيث تنكر أي

خلاف سني – شيعي، وليست متطرفة في الرجعية والعمالة فتدعو لغض النظر عن كل شئ حتى دور الاستعمار والعكوف على أحياء العداوات والتفرقة والحرب السنية الشيعية ، بل شعاره في جملة واحدة هو أن وحدة التشيع والتسنن محال ووحده السنة والشيعة أمر حياتي [32] يقول في ذلك : « أما أنا ورغم معارضتي الشديدة باستمرار لكل تفرقة ونفاق وزرع للأحقاد واللجاج بين المسلمين ورغم اعتقادي أن ذلك عمالة لأعداء الإسلام الكبار الامبريالية والصهيونية وكنت مقارعا على الدوام لهذين العدوين... ولأجل ذلك دفعت شعار الأصل المقدس وحدة الصفوف والخطوط مقابل العدو لأجل الوصول إلى الأهداف المشتركة وتجديد حياة القوة الإسلامية العالمية والخلاص من الضعف والذلة والعداء المذهبي » [33]

هذا وقد ذهب إلى رأي الأستاذ مجموعة كبيرة من علماء ومفكري أهل السنة المعاصرين منهم الإمام حسن البنا [34] والشيخ عبد المجيد سليم والإمام مصطفى عبد الرازق[35] والشيخ محمد شلتوت، وقد كون هؤلاء جماعة التقريب بين المذاهب، ومنهم أيضا الإمام محمد الغزالي والشيخ سعيد حوى ومحمد أبو زهرة وغيرهم[36].

الخاتمة:

نخلص من العرض السابق إلى جملة النتائج الآتية:

أولا/ يمكن تقسيم المسائل العقدية التي جرى حولها الخلاف إلى أصول وفروع.

أما الأصول فهي القضايا الكلية المعلومة من الدين بالضرورة كوجوب الشهادتين للدخول في الإسلام واعتقاد وحدانية الله عز وجل واتصافه بالكمال المطلق وتنزيهه عن مطلق النقص والإيمان باليوم الآخر ووجود الجنة والنار والملائكة والرسل الكرام واعتقاد وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج...

وأما فروع العقيدة فهي المسائل الاجتهادية التي جرى حولها الخلاف بين السلف والخلف بسبب إغلاق اللفظ تارة وإجماله تارة أخرى، والاختلاف في الفهم وترتيب مكانة العقل... وهي خلافات تعود في آخر المطاف إلى إرادة كل طرف في تمثل العقيدة على الوجه الأكمل وفق ما أداه إليه اجتهاده في إطار النص المعصوم.

ثانيا/ كثير من المسائل العقدية التي تثار اليوم كانت وليدة ظروفها والأصل أن تبقى حبيسة زمانها، لأننا –كما يقول الدكتور القرضاوي- نريد أن نفكر لأنفسنا بعقولنا لا بعقول غيرنا، لا نريد من أحد أن يفكر لنا، سواء كان من الأموات الذين بيننا وبينهم قرون وقرون، أم من الأحياء الذين بيننا وبينهم بحار ووهاد. على أن أسلافنا –وإن اغتربوا عنا زمانا- هم أقرب إلينا فكرا وشعورا، فمنطلقاتهم منطلقاتنا وغاياتهم غاياتنا ومناهجهم مناهجنا ولكنهم لم يحيوا حياتنا ولم يعيشوا مشاكلنا ولم يواجهوا تحدياتنا ولم يعرفوا ما عرفنا في عصرنا.

ثالثا/ من الخلافات العقدية ما لا يمكن رفعه بحال، كالخلافات الواقعة بين أتباع المدرسة السنية عموما بشقيها السلفي والكلامي، وبين مجتهدي كل مذهب على حدة، إذ لا يستطيع أحد أن ينكر الخلافات الموجودة في المدرسة الحنبلية، والخلافات الموجودة في المدرسة الأشعرية، وكذلك الأحناف والماتوريدية والشيعة الإمامية والإسماعيلية والزيدية...وهذه الخلافات إن دلت على شيء فإنما تدل على وجوب الانشغال عنها بما هو أهم منها، من السعي إلى جمع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم لمجابهة التحديات الداخلية والخارجية التي تعمل على اختلاف توجهاتها الفكرية من أجل القضاء على الإسلام وإزاحته من مسرح الأحداث، ولا يكون ذلك إلا بإعادة صياغة الدرس العقدي بما يتماشى والتحديات السابقة والرهانات المحتملة والتركيز على الأبعاد المقاصدية في عقيدة "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

رابعا: نعتقد أن الصراع الدائر بين المسلمين اليوم بعنوان "الاختلاف المذهبي" لن يجني منه المسلمون إلا مزيدا من قيم الضعف والتشرذم، وهي القيم التي ستحرر مساحات إضافية لأعداء الدين من أجل الحصول على مزيد من قيم القوة والوحدة المفضية إلى التمكين في الأرض، على حساب الغائبين عن مسرح الفعل الحضاري من المسلمين، ولهذا فإن ما تدّعيه بعض الأصوات من هذا المذهب أو ذاك من أن معركة المسلمين اليوم هي معركة وجود أو فناء مذهبي لا أساس لها من الصحة، وغاية ما في الأمر أن هذه الأصوات تعمل على صب الزيت على النار بما تقوم به من زيادة مستوى التوتر في الهباء والخواء، لدى عموم المسلمين من الذين تحركهم العواطف وتتحكم فيهم الزعامات الدينية، فتكون النتيجة كما كانت دائما مزيدا من التشرذم والضعف، وتحرير المساحات الإضافية للقوى المعادية للدين في الداخل والخارج.

الهوامش

1- ينظر: مفاتيح الغيب الفخر الرازي [دار إحياء التراث العربي بيروت ط3/ 1420] ج27 ص588.

2- مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م رقم 18448 ج30 ص389.

3- مفاتيح الغيب ج32 ص330.

4-جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م 24/ 661.

5- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م ج10 ص 169].

6- الواقع أنه في أدبياتنا العقدية لم يشكل النص لوحده مستندا في الحكم على الآخر بالمخالفة، بل إن آراء الرجال شكلت في كثير من الأحيان مستندا يكاد يتماس مع القداسة في الحكم على الآخر بالمخالفة، ومن ثم إلزامه بتبعات هذه المخالفة مما يندرج تحت باب الأحكام في الدرس العقدي

7- الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي محمد البهي مكتبة وهبة ط3 1962 ص37.

8- ينظر: كتاب ذم التأويل ابن قدامة المقدسي ج1 ص38. وينظر أيضا: كتاب الإعتقد البيهقي ص88/87.

9- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة أبو القاسم اللالكائي تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي [دار طيبة – السعودية الطبعة: الثامنة، 1423هـ / 2003م] ج3 ص 441.

10- بديع الزمان سعيد النورسي ﴿1960/1877﴾ عالم تركي جليل، ومصلح ديني كبير، ساهم في بعث الصحوة الإسلامية في تركيا بعد الهجمة الشرسة التي شنها الكماليون وأنصار تركيا الفتاة على الإسلام والمسلمين، كرس جهوده الإصلاحية من أجل تحقيق هدف واحد هو "إنقاذ الإيمان" بواسطة رسائل النور التي كان يؤلفها انطلاقا من معين القرآن والحديث النبوي، وقد أينعت هذه الرسائل ثمارا جليلة في المجتمع التركي ولازالت إلى اليوم تطبع وتنشر وتدرس في كل أنحاء العالم الإسلامي.

11- صيقل الإسلام بديع الزمان النورسي ص59.

12-كتاب المحصل الإمام الرازي المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة ط1/1991 ص 365.

13- ينظر: كتاب العلو الإمام الذهبي بتحقيق الألباني ص 97.

14- الأدارسة محمود إسماعيل مكتبة مدبولي القاهرة ط1/ 1991 ص 162.

15- الأدارسة محمود إسماعيل ص 78.

16- إيثار الحق على الخلق محمد بن المرتضى الحسني القاسمي ص9.

17- مسلم بشرح النووي حديث رقم 1066 ج4 ص141.

18- مجموع الفتاوى ابن تيمية دار الجيل ط1/ 1997ج3 ص147-148.

19- حديث افتراق الأمة الأمير الصنعاني دار العاصمة السعودية ط1/ 1415ه ص 21.

20- ينظر: حديث افتراق الأمة.. الأمير الصنعاني ص 21 وما بعدها.

21- مجموع الفتاوى ج3 ص118.

22- رواه مسلم عن أنس بن مالك رقم 2559.

23- المكتوبات النورسي ص 341.

24- مناهل العرفان في علوم القرآن عبد العظيم الزرقاني دار الفكر ج2ص 209-210.

25- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تح: محمد رشاد سالم [جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة السعودية ط2/ 1991] ج1 ص 95، 96.

26-كيف نتعامل مع التراث الدكتور القرضاوي مكتبة وهبة القاهرة ط2/ 2004 ص128.

27- الحديث عند أحمد وابن ماجه وصححه أحمد شاكر.

28-كيف نتعامل مع التراث د القرضاوي ص148.

29- سواء كانت فروعا فقهية أو عقدية فالسياق يحتمل الجميع.

30- كيف نتعامل مع التراث يوسف القرضاوي ص140.

31- علي شريعتي ﴿1977/1933﴾ مفكر ومصلح ديني إيراني حائز عل الدكتوراه من جامعة السربون بعنوان "علم الإجتماع الديني" انصبت جهوده الإصلاحية على تجديد المذهب الشيعي ومجابهة المد التغريبي بالعودة إلى الذات الإسلامية في خصوصياتها الثقافية والاجتماعية والسياسية

32- الأمة والإمامة علي شريعتي ص .125.

33- المصدر السابق ص 124.

34- حسن البنا (1906 - 1949) المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين ومؤسسها في مصر، التحق بكلية دار العلوم سنة 1923 م، وظهرت لديه فكرة تكوين دعاة إسلاميين ينشطون في المساجد و المقاهي والمجتمعات العامة، وكانت هذه أول بذرة لجماعة الإخوان التي أسسها سنة 1928، وقام فيها بنشاط كبير إلى أن أغتيل سنة 1949 م (موسوعة السياسة جـ 2 ، ص 532)

35- مصطفى عبد الرازق (1885 – 1947) سياسي مصري و مصلح اجتماعي، تتلمذ على الشيخ محمد عبده وأخذ عنه نزعة الإصلاح الاجتماعي و التجديد الفكري، تقلد عدة مناصب علمية وسياسية إلى أن عين شيخا للأزهر عام 1946، له كتب في تاريخ الفلسفة الإسلامية و غيرها. (موسوعة السياسة جـ 6، ص 221 – 222)

36- انظر: حول الوحدة الإسلامية، أفكار ودراسات معاونية العلاقات الدولية- ايران ط2 / 1409 هـ،السنة والشيعة ضجة مفتعلة، د عز الدين ابراهيم ص 15-16

قائمة المراجع

1/ الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم د/محمد السيف دار التدمرية السعودية ط2008/1.

2/ الأدارسة محمود إسماعيل مكتبة مدبولي القاهرة ط1/ 1991.

3/ الأسماء والصفات الإمام البيهقي المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة ط/1999.

4/ الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، أبو بكر البيهقي، تح/ أحمد عصام الكاتب [دار الآفاق الجديدة، بيروت ط1/ 1401].

5/ إيثار الحق على الخلق محمد بن المرتضى الحسني القاسمي [دار الكتب العلمية بيروت ط2/ 1987].

6/ تاريخ المذاهب الإسلامية محمد أبو زهرة دار الفكر العربي القاهرة.

7/ جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

8/ الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م

9/ الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي محمد البهي مكتبة وهبة ط3 .1962

10/ حديث افتراق الأمة الأمير الصنعاني دار العاصمة السعودية ط1/ 1415ه.

11/ حول الوحدة الإسلامية ، أفكار ودراسات معاونية العلاقات الدولية- ايران ط2 / 1409 ه.

12/ درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تح: محمد رشاد سالم [جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة السعودية ط2/ 1991].

13/ ذم التأويل ابن قدامة المقدسي تح/ بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية الكويت ط1/ 1406.

14/ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة أبو القاسم اللالكائي تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي [دار طيبة – السعودية الطبعة: الثامنة، 1423هـ / 2003م].

15/ صحيح مسلم بشرح النووي دار الفكر لبنان ط/2002.

16/ العقيدة والسياسة لؤي الصافي المعهد العالمي للفكر الإسلامي ط/1996.

17/ كليات رسائل النور بديع الزمان النورسي.

18/ كيف نتعامل مع التراث الدكتور القرضاوي مكتبة وهبة القاهرة ط2/ 2004.

19/ مجموع الفتاوى ابن تيمية دار الجيل ط1/ 1997.

20/ كتاب محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، الإمام الرازي المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة ط1/1991.

21/ مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

22/ مفاتيح الغيب الفخر الرازي [دار إحياء التراث العربي بيروت ط3/ 1420].

23/ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين أبو الحسن الأشعري المكتبة العصرية بيروت ط1/ 2005.

24/ مناهل العرفان في علوم القرآن عبد العظيم الزرقاني دار الفكر للطباعة والنشر سوريا – لبنان.